

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قَدِمَ عِيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ..

الحديث

الشيخ: خالد بن عثمان السبتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمما أورده الإمام النووي -رحمه الله- في باب الصبر حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس...^(١)

عيينة بن حصن الفزاري -رضي الله تعالى عنه- كان ممن أسلم أخيراً، وذلك بعد أن فتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن أعطاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- مائة من الإبل، ثم ارتد بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما ارتد كثير من العرب، ثم أسر في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وجيء به إلى المدينة، ثم رجع إلى الإسلام.

فالحاصل أن عيينة بن حصن نزل على ابن أخيه الحر بن قيس، والحر بن قيس يقول فيه كثير من أهل العلم: إن له صحبة، ويعد من صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو من أهل الفقه والعلم.

يقول: وكان من نفر الذين يدينهم عمر -رضي الله تعالى عنه-، المعنى: أن الحر بن قيس كان من نفر الذين يدينهم عمر -رضي الله عنه-.

والنفر هو ما دون العشرة، فهم مجموعة قليلة، وهم خاصة عمر -رضي الله عنه-، وهم الذين يحضرون مجلسه باستمرار؛ لأن بطانته -رضي الله تعالى عنه- كانت من أهل العلم والفقه والدين والصلاح، يسددونه ويذكرونه، وقيل: هم الصفوة والخالصة من نفر الذين يدينهم عمر -رضي الله تعالى عنه-.

قوله: "وكان القراء أصحاب مجلس عمر -رضي الله تعالى عنه- ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً" يعني: أن عمر -رضي الله عنه- لم يكن ينظر إلى السن، وإنما ينظر إلى الحصيلة التي عند الإنسان، والمقومات التي يحملها، فهؤلاء القراء ليس المقصود بهم كما هو الشائع الآن يطلق القراء ويراد بهم حفظ القرآن، وإنما القراء في ذلك الزمان هم أهل الفقه والدين والقراءة، فكان الإنسان يحفظ القرآن ويتفقه بمعانيه.

فهذا ابن عمر بقي في سورة البقرة ثماني سنين، وعمر بقي فيها عشر سنين، وروي غير ذلك، فكان الواحد لا يتجاوز خمس آيات حتى يتعلم ما فيها من العلم والعمل، فيكون فقيهاً.

وكان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران صار فقيهاً في أعينهم، وكان الناس في غزوات حروب الردة ينادون: يا أصحاب سورة البقرة، وفي يوم حنين: يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب السمرة.

^١ - أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (١٧٠٢/٤)، رقم: (٤٣٦٦).

فهؤلاء هم أهل القرآن، هم الفقهاء، هم أهل العلم، وهم الذين كانوا يحضرون مجلس عمر -رضي الله عنه- فيشاورهم.

قوله: "كهولاً كانوا أو شباناً" بعض أهل العلم يقول: الكهل من كان فوق الثلاثين، وبعضهم يقول: فوق ثلاث وثلاثين، ويحتجون على ذلك بقول الله -تبارك وتعالى- عن عيسى -صلى الله عليه وسلم-: **{وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}** [آل عمران: ٤٦]، فعيسى -صلى الله عليه وسلم- المشهور أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين، فأطلق على ذلك الكهولة.

وبعض أهل العلم يقول: إذا بلغ الثلاثين، وبعضهم يقول: إذا خمطه الشيب بعد الثلاثين، وبعض أهل العلم يقول: من الخمسين، ثم بعد ذلك تكون الشيخوخة في الستين.

وبعضهم حاول أن يجمع بين الأقوال، فقالوا: إنه يكون من الثلاثين أو الثلاثة والثلاثين إلى الخمسين، فهذه فترة الكهولة، والشباب قبل ذلك، والشيخوخة ما بعد الخمسين.

فقال عيينة لابن أخيه -يعني: الحر بن قيس-: يا ابن أخي، وعيينة لم يكن نازلاً في المدينة، قدم إليها، قال: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، يعني: لك منزلة ومكانة عنده وحظوة، فاستأذن لي عليه، أي: حدد لي موعداً أريد أن أدخل عليه.

فاستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب، وهذه كلمة قد تأتي بمعنى الوعيد والتهديد، وقد تأتي بهاء السكت، هيه، وقد تكون منونة أيضاً.

هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، يعني ما تعطينا العطاء الكثير، ولا تحكم فينا بالعدل، أي: أنت ظالم وشحيح تستأثر بذلك لنفسك، فغضب عمر -رضي الله عنه- حتى هم أن يوقع به.

فقال له الحر -وهذه فائدة مجالسة أهل الفضل والدين والعلم، وهذا أوانهم-: يا أمير المؤمنين -ولاحظ الفرق بين العبارتين ذاك قال: هي يا ابن الخطاب، وهذا: يا أمير المؤمنين- إن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** [الأعراف: ١٩٩]، **{خُذِ الْعَفْوَ}** يعني: من أخلاق الناس ما استيسر منها، ولا تستقص، وإلا من أراد أن يتتبع وينظر في تصرفات الناس وأقوالهم وأفعالهم فإنه سيعتب كثيراً، فيتعب نفسه ويتعب من معه، **{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}** يعني: المعروف، **{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** يعني: أهل السفه، وإن هذا من الجاهلين، يقول: والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى، رواه البخاري.

كان وقافاً يعني بمجرد التذكير وقف، ولم يحصل منه معاقبة لهذا الرجل، وعلاقة هذا الحديث بباب الصبر واضحة، وهي أن الإنسان بحاجة إلى صبر على أذى هؤلاء الناس.

من أعدل من عمر بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-؟!، ومع ذلك يأتي هذا ويقول له: إنه لا يحكم بالعدل، ولا يعطيهم الجزل، وعمر -رضي الله عنه- كان يخطب وفي ثوبه رقع كثير، يلبس ثوباً مرقعاً.

وفي عام الرمادة تغير لونه حتى اسمر، وجاء في صفة الواصفين له في ذلك العام أنه أسمر طويل، ولم يكن -رضي الله عنه- بأسمر، لكنهم رأوه في عام الرمادة لقلة ما كان يأكله، فكان يجوع مع الناس فتغير لونه -رضي الله تعالى عنه.

فالإنسان بحاجة إلى الصبر على أذى الناس، بحاجة إلى الصبر والتحمل وحبس النفس، وسيلقى الإنسان أذى كثيراً لربما من أقرب الناس إليه، وهو بحاجة أن يتذكر هذه المعاني.
وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.